الآثار المطويّة

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

نشرنا في مجلة « المشرق » السنة الماضية ، ضمّةً من كتابات قديمة ثمينة تحت عنوان « الآثار المطوية » كانت محبوسة في الزوايا والكهوف ، مغلفةً بين الستائر والسجوف ، فقيض الله لنا حظًا فظفرنا بالكثير منها ، وقد :

برزت مبرقعةً فقلتُ لها أسفري حتى تكوني فتنةً للناظر

فنضونا عنها الحجاب ونفضنا عن ثيابها غبار السنين الخالية واطلقناها من الخفاء الى الضياء. فتهادت بابهى مطارفها كالحسناء الخالية، ولم ينل من نضرتها الشحوب والاكداد ، ولا دنا منها الملال في هذه الابعاد ، وقد كشف عنها النور ما خبّأته الظلمة من محاسن ومنافع . وحسبها فخرًا انها لمستْ اقبالًا عليها وارتياحاً اليها ، فجمعنا الجزء الاول منها في كتابٍ منفرد تسهيلًا لمطالعتها متسلسلةً متساوقةً ، فما صدف عنها السامع ولا ضاق دونها صدرُ المطالع ممّا حمل جلّةً من اصدقائنا الى طلب المزيد من نشر مثل هذه الآثار المطوية القيّمة فنزلنا عند رغبتهم وعدنا الى دفاترنا واوراقنا نتصفحها ونقلبها وننتقي منها ما هو جديرٌ بالاعتبار خليقٌ بالانتشار، مواصلين اصدار الجزء الثاني من هذه الآثار. وعلى الله تعالى الاتكال في كل حال .

مخطوطة اثريّة للشيخ جبجاه الدحداح

في سنة ١٩٤٥ القيتُ رياضةً روحيّةً على تلامذة مدرسة مار عبدا هرهريا. وفي ذات يوم رأيتُ رجلًا جالساً عند احد مداخل المدرسة وامامه صفٌ من

الكتب معروضة للبيع ، فتقدمتُ فاذا الرجل من عرامون كسروان ، وقلبتُ الكتب وانتقيت منها مخطوطةً اثريّةً ابتعتها منه، وقد سمّاها كاتبها «السفينة» لانها مستطيلة وجامعة أشياء وأشياء ، وان انشاءها على طريقة السجع .

طول هذه المخطوطة ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ سنتمترات ، في ١٥٩ صفحة مجلّدة بجلد اسود ، منسوخة على ورق جيد بخط عربي ، بحبر اسود ، واماّ العناوين فبالحبر الاحمر جاء في اواخر هذه المخطوطة صفحة ١٤١ ما هو بحرفه:

« علّقه يده الحقيرة جهجاه الدحداح وهو مختفي اي مهزوم من حاكم الوقت . تحريرًا في ١٢ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثمانية وعشرين وثمانماية والف بناية العجلة صح صح . واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبتاها » .

اما كيف حصل الشيخ جهجاه على هذه المراسلات والمراسيم التي جمعها في مخطوطته « السفينة » وهي تنبئ بانها مأخوذة من دار حكم الامير بشير شهاب الكبير. ويقول الشيخ فريد الدحداح حفيد خطار بن جهجاه : ان جهجاه كان خصماً للامير بشير وانه لم يدخل في خدمته . لذلك يرجّح عندنا اماّ انه نقلها عن مخطوطة كانت بيد احد أصدقائه او اقاربه ، واما انه استقاها من احد كتبة ديوان الامير بشير فنسخها وهو فارٌ من وجهه حتى اذا عاد الى بيته عنون مواضيعها بالحبر الاحمر الذي لم يكن ينقله معه وهو شريدٌ مهزوم .

ان الشيخ جهجاه هو من قرية — عرامون كسروان — ابن الشيخ حنا الدحداح على ما ذكر الخوري منصور الحتّوني[1] . وافادنا حضرة الشيخ رشيد ميشال الدحداح — كفور كسروان — عن لسان الشيخ فريد الدحداح ابن سليم المؤرخ المعروف ابن خطار ابن الشيخ جهجاه الدحداح ان لجهجاه ثلاثة اخوة كبيرهم : منصور ولويس وعرب. وان فاعور وحنا اللذين يخاطبهما جهجاه في هذه المخطوطة ، هما ابناء شقيقه لويس ، اعتبرهما كابناء له . ولم يكن لجهجاه سوى ولدٍ واحد اسمه خطار . مات جهجاه في قبّ الياس وليس له من املاكٍ هناك انما كان قائد حملةٍ حربية مؤلفة من ثلاثمئة شخص هاجم بها عسكر ابراهيم باشا المصري الذي والاهُ وعاونه، الامير بشير الشهابي الكبير في الحرب.

١) كتاب المقاطعة الكسروانية ، الطبعة الاولى ، صفحة ٢٧٨

وكان جهجاه مع الكسروانيين الذين نازلوا الامير بشير وابراهيم باشا في القتال.

وقد ركب الشيخ جهجاه على رأس ثلاثمئة فارس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة لاسعافه في مقاتلة عسكر الامير بشير. وعندما انتصر رجال الامير على رجال الشيخ بشير ، فرّ عندئذ الشيخ بشير جنبلاط والشيخ مرعي واخوه الشيخ بشير الدحداح وابن عمهما الشيخ جهجاه قاصدين حوران ، ففاجأهم عسكر الشام في ايام ذلك الشتاء القاسية ، فسلّم الشيخ بشير جنبلاط نفسه للعسكر فشنقه عبدالله باشا بناء على امر محمد علي والي مصر . واما الشيخان مرعي وجهجاه فاخترقا العسكر ومزّقا صفوفه وتاها في البراري والكبوف، ثم توجّها الى حلب الشهباء وانتهيا الى حمص وقد طاردهما الامير بشير شهاب الكبير وضيّق عليهما حتى انهزما من شرّ سطوته ونقمته .

قال مؤرخ حياة الشيخ مرعي الدحداح : « ان الشيخ جهجاه وُلد ١٧٩٠ وتوفي سنة ١٨٤٠ في قب الياس ودُفن في كنيستها . وكان قويًا جبارًا وفارسًا مغوارًا له وقائع عديدة مشهورة ، وهو والد الشيخ خطار الذي لم يزل حيًا والذي قد تقلّب في مناصب حكومة متصرفية لبنان نحو ثلاثين سنة[1] » .

ويظهر ان الشيخ جهجاه سافر الى مرسيليا . ويقول الشيخ رشيد الدحداح نقلًا عن الشيخ فريد المذكور : ان سفره كان بصحبة ابنة عمّ الشيخ مرعي واولادها .

وهاك ما سطّر الشيخ جهجاه في مخطوطته صفحة ١٤٢ عن سفره الى مرسيليا :

« انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعه وثلاثين كان سفرنا الى محروسة مرسيليا صحبة اختنا . وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثة (الثلاثاء) في شهر نوار . وكان وصولنا الى محروسة مرسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ م الموافقة للهجره سنة ١٢٥٠ » .

---

(١) طبعت ترجمة مرعي الدحداح لواضعها نسيبه اسحق الدحداح وقد طبعها على حدة، ونحن اثبتناها في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٥٣ وفي صفحة ٢٦٧ تجد كلمة عن الشيخ جهجاه . وطالع « نبذة خطية قديمة في تاريخ المشايخ آل الدحداح » مجلة الورود شباط ١٩٥٠ وكتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » صفحة ٢٨٩ وحاشية صفحة ٢٩٥

وكتب عن رجوعه الى الوطن في صفحة ١٤٣ من مخطوطته ما يلي :

« وكان رجوعنا من محروسة مرسيليا نهار الخميس الواقع بعشرين شهر آب يكون جملة اقامتنا بمرسيليا شهرين والباقي على الطريق . استفدنا من بيروت الى مرسيليا ثمانية واربعين يوم . ومن مرسيليا الى قبرص عدد ٢٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعة والثلاثين وثمانماية والف سنة ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

وصرّح الشيخ جهجاه كما رأيت، انه كتب هذه المخطوطة المسمّاة «السفينة» وهو شريد طريد مختفٍ من وجه الحاكم الامير بشير الشهابي الكبير حتى اذا زالت الفتنة واستقرت السكينة، عاد الى بيته فعنون وقتئذٍ مواضيع «سفينته» بالحبر الاحمر وهو يردد بلسان حاله مع الشاعر :

واني لأغضي مقلتيَّ على الاذى وألبسُ ثوب الصبر ابيض ابلجا
واني لأدعو الله والامرُ ضيّقٌ عليَّ فما ينفك ان يتفرّجا
وكم من فتًى ضاقت عليهِ وجوهُهُ اصاب لها في دعوة الله مخرجا

وكتب الشيخ جهجاه في موضع آخر من هذه « السفينة » ما يلي بالحرف الواحد :

« خدمة تونانك يا خطّار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام صح .

وكتابتي هذه السفينة الكي تتقوى بالعربي يا خطّار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خذ من هذه السفينة قواعد الخط ولا تغيّر واغا انظر للاجود بخطها وامتلكه و لا يلذ لك بعض ترخرفات الخطوط هذه القاعدة ما لها وجود » .

هذا ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه خطار ولا ينبئك او يحذرك مثل خبير ، فانه رأى خدمة الارض مع طمأنينة نفس أدر ربحاً واكثر استدراراً لصفاء البال وهنا العيش من خدمة الحكام التي من وراءها متاعب النفس والجسم . وقوله لابنه : « اياك ان تبتلي بخدمة الحكام » لما فيها من المشقة

والنصب، وتحذيراً له لئلا يغريه الطمع فيهمل ادارة بيته وارزاقه وينضم الى حواشي الحكام طمعاً بالجاه او بالمال. ويرغبه في اخذ قواعد الخط عن هذه « السفينة » التي كتبها له للاقتباس منها لانه على يقين من جودة خطها، ولا يدهش للخط المزخرف لان حسن قاعدة خط والده لا وجود لها. وبالحقيقة ان خط الشيخ جهجاه هو جميل متناسق الحروف صحيح التركيب.

ليقتنع المرء بما قسمه الله له من الرزق واختار له من المهن كسباً لمعاشه ومعاش اسرته، واسعد الناس من قنع بحاله، واشقاهم مع طمع بما لغيره، والقناعة كنزٌ لا يفنى، فانه لا يحتاج عندئذ الى طلب المزيد من الثروة. وعدم الاحتياج هو الغنى، واكتفاء المرء بما عنده هو اعظم حالات الرفاهية. قال ابو النواس:

ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ولو أنهُ عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعتَ فكلُّ شيء كافِ

وهاك ما اوصى به الشيخ جهجاه ابنه في آخر هذه المخطوطة، ووصيته ان يتمسك بالايمان والتقوى والعبادة ويبتعد عن الكذب المشين بالرجال. قال:

« . . . ودائماً يكون عندك الافتكار ان هذه الدنيا زائلة وفي كل بضاعتك يكون (ليكن) الله امامك لكي تتوقى من فخاخ عدوّ الخير خزاه الله. واياك والكذب لانه مشين بالرجال . . . »

يستشف من هذا الكلام ان الشيخ جهجاه « رجلٌ سليمٌ مستقيم يتقي الله ويجانب الشرّ » (ايوب ١: ٨) وذو نفس ابيّة تعدُّ الكذب منقصةً وعيباً، ومن الصلحاء المتمسكين بدينهم، المزوقين عن الدنيا العاملين للآخرة، لم يبطره مجدُ اسرته ولا شجاعة قلبه ولا وفرة ماله، او تصرفهُ ايامُ محنته عن عبادة ربه وتنسيه الآخرة. انه لم يلتفت الى كل ذلك. ونراه يسهر على تربية ابنائه على خشية الرب، باذلاً لهم النصائح منبهاً الى المخاطر والمزالق موصياً بخوف الله اولاً لئلا يقعوا في فخاخ ابليس، لان السقي بعد الفرس والتربية قبل الدرس. وقد نبههم عن الكذب الذي يبين انه اكره شيء اليه حتى خصَّه بالذكر

والاجتناب وهو من صفات النفوس الخسيسة المتعيشة من وراء اللؤم والدناءة ، وغير لائق بابناء كرام الاصل . قال الشاعر :

ما احسن الصدق في الدنيا لقائلهِ وأقبح الكذب عند اللهِ والناسِ

وقال ايضاً :

الصدقُ في اقوالنا أقوى لنا والكذبُ في افعالنا أنمى لنا

سُئل ارسطاطاليس : ماذا يستفيد الكاذبون من الكذب ؟ فقال عدم تصديق الناس لهم اذا صدقوا . وكأن الشيخ جهجاه بلسان حاله يقول لابنه ما قاله الشاعر :

كن مع الله ترَ الله معك واترك الهمَّ وحاذر طمعك
لا ترجّي من سواهُ املاً انما يسقيك من قد زرعك

***

وكتب في محلٍّ آخر :

« كتاب مجموع يفيد من ابتلى بداء التعيّر بخدمة الحكّام »

وجاء ايضاً :

« خدمة الحكّام ما بها خير يا فاعور وان خدمت لا سمح الله اياك تأمن لان زوال الحكم قريب . والحاكم الموجود وانت خادمه خائف منه » .

وكتب ايضاً في محلٍّ آخر :

« اياك يا فاعور من خدمة الحكّام ولا تبدي شيء يكون ضدّ الحاكم حتى تبقى مرتاح انت واخوتك حنا وخطار ».

وكتب ايضاً :

« خدمة الحكام لها ثلاث خصال . اولاً يندم صاحبها الراحة بهذه الدنيا . ثانياً يعادي جميع الخلق . ثالثاً دائماً تحت المخاوف والآخرة جهنم لا محال . وهذا كافٍ » .

وكتب ايضاً :

« افهم يا خطار كيف يشبّهون (الحكّام) المتمم (الخادم) الى الكلب يشبّهوه ».

المجمع الاقليمي

الذي عقده في جبل لبنان السيد البسامي الاحترام

بطريرك طائفة السيريان الموارنة الانطاكي

ورؤساء اساقفتها واساقفتها وكليريسها العيالي والقانوني

بموازرة السيد الفائق الاحترام

يوسف سمعان السمعاني

قاصد الكرسي الرسولي

في الثالث من تشرين الاول والثاني والثالث من تشرين الثاني سنة ١٧٣٦ للعهد المجيد الاغريغوري

الكليمنتي الثاني عشر

ترجمه عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية بمطبعة انشاء ديوان المقدس سنة ١٨٤٠

المطران يوسف يوحنا بحرص

مطران عكا النائب البطريركي

طبع في مطبعة الآداب في جونية سنة ١٩٠٠

IMPRIMATUR IMP. CATH. BEYROUTH

نمرة ٣٠ خمسة غروش ليست غالية

من تكرار هذه التنبيهات ترة الفاعور وحن ولدي اخيه نويس وترة لولده خطار لئلا يغتروا فيخدموا الحكام وقد ذاق منهم الامرين ، فاذا بُلي احدهم او احد اقاربه بخدمة الحكام كتب لهم هذا المجموع للاستفادة منه مبنى ومعنى ودربة في الكتابة تحاشياً للسقوط في زلل الكلام وهناك السخط والملام .

***

اذا غرق الحاكم في لجة من اللذائذ والمناعم وتكاثرت في صناديقه الحبور وأطربت أذنه رنة الدنانير ودانت له رقاب العباد وكثر حوله الخدم والحشم لعبت الغطرسة في رأسه ونشأت فيه الجوارح الطوامح والجوانح الجوامح وعتا وقسى وتكبّر وظن انه ظلُّ الله على الارض والناس عنده كلا شيء ، وما خدمه سوى كلاب تقتات من فتات موائده كأنها محرومة من كل احساس وشعور ، ولا غرابة اذا عوملت معاملة السوائم ، لذلك يجب ان تُحتقر ولا يُلتفت اليها كأن هؤلا. الناس ليسوا بشراً وليس لهم ادنى حق باحدى الكرامات لانهم خدَم والخادم عندهم شبيه بالكلب وقد خبر الشيخ جهجاه الامور بنفسه فما رأى خدمةً اكثر ذلًا ومضاضةً من خدمة الحكام انصاف الالهة .

ما اكثر سخف الذين يهوون الالتصاق بالحكام طمعاً بالمجد او بالدرهم . فانهم يظنون انهم باقترابهم منهم قد طاولوا الجوزاء وسجدت لهم الاهبة وأكرمهم الناس وخافوهم ، وسرّوا لو صدفوا من اساتذتهم الاحتقار بدل الاعتبار والدرهم عوض الاهانة ، ولكنّ ذوي النفوس الكريمة تأبى السكوت على الذل والاستنامة في احضان المكاسب عند بذل ماء الوجه .

ان الانسان مهما عانى من ضنك العيش ومذلّة الفقر وعنت الدهر ، فكل ذلك اخفُّ عليه من حمل اعباء خدمة الحكام والسلطين ، لان الهمّ والقلق يلازمانه ويعيش مضغض الفكر فريسة الاضطراب والارتباك ورهين الهواجس والبلابل ، فاقد الراحة والسكون ، يضطر ان يفعل ما يخالف ضميره ويلحق الاذى بالناس فضلًا عن الخوف الذي لا يبرح قلبه ، لانه لا يعرف في اي وقت يتبدل الرضى بالغضب وتنقلب نعمة الحاكم الى نقمة ، فلأقل كلمة ينقلها واش

او حسود زوراً وبهتاناً ، يستشيط هذا المتسلط غضباً وبدون فحص او تروٍ ينزل بخادمه اشد عقاب غير ذاكرٍ له شيئاً من الخدمات والحسنات، لذلك ينهى الشيخ جهجاه ولده ولديّ اخيه فاعور وحنا عن خدمة الحكام ليظلوا آمني السرب متمتعين بطمأنينة البال في هذه الحياة وبالسعادة في دار الخلود . قال الكتاب المقدس : « تباعد عمَّن له سلطان على القتل فلا تجري في خاطرك مخافة الموت ، وان دنوت منه فلا تجرم لئلا يذهب بحياتك. اعلم انك تتخطى بين الفخاخ وتتمشى على متارس المدن » (سيراخ ٩ — ٢٠) ويذكر الشيخ جهجاه ابنه بسرعة زوال الحياة لئلا تنشب رجله في المصايد والمكائد ، وان زوال الحكم قريب عملاً بقول الكتاب : « ان العزّ ليس بدائم ولا التاج الى جيل فجيل » (امثال ٢٧ : ٢٤) .

ولو انصف الحكام والمسلطون لمّا قسوا وطغوا وتجبّروا وعبثوا بالعدل وبالرعية ولمّا سيطرت عليهم الانانية وامعنوا في القسوة والظلم ، وقد قال الشاعر :

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدراً فالظلمُ آخرهُ يأتيك بالندمِ
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

ولو فكّروا لادركوا ان العرش الذي يعتلونه ستتزعزع قوائمه، وان السيطرة والفطمة ستنقلب الى سخريةٍ وهوان وسيمرّ عليها الزمان ويمحها بكفّ النسيان وتعفّي آثارها الايام ، وسيأتي زمنٌ يقول الناس عنها انها : « اضمحلت وصارت كقفى البيدر في الصيف فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان » (دانيال ٢ : ٣١ — ٤٥) وسيعودون الى الاندماج في عامة الشعب الذي يستهزئ بهم لانهم هزأوا به ويتمّ فيهم قول القائل :

كانوا ملوكاً وصاروا ناس آه من غدرات الزمان

ولو فطنوا وتأملوا لما رمحوا وجمحوا ، ولا بطروا وشمخوا . ليصبر المتألمون، انه عمّا قليل سيتلاشى حكم هؤلاء الخارجين على العدل وتحلّ بهم المحن والآفات فتنسيهم تلك الغضبات والفطرسات . قال الشاعر .

تحكموا واستطالوا في تحكمهم وعن قليل كأنَّ الحكم لم يكن
لو انصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهرُ بالآفات والمحن
فأصبحوا ولسانُ الحال ينشدهم هذا بذاك ولا عتبٌ على الزمن

***

وكتب الشيخ جهجاه في « سفينته » ما يلي :

« اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّه يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . وتعلّم حسابات الهندي وعلّم اخوتك حسنا وخطار ولا تتركهم بلا علم لان الانسان بلا علم حمار ناطق . اياك ثم اياك معرفة الخط ».

ان الشيخ جهجاه يحث الشباب على الاخذ بالعلم لاكتساب التثقيف والتنوير لان الجهل فقر والعلم غنى ، ويكفي ان يُرفع قدر العلم الصحيح لانه يهذب النفس ويكملها ويحملها على التقوى . قال ابن سينا :

هذّب النفس بالعلوم لترقى فترى الكلَّ وهيَ للكلّ بيتُ
انها كالزجاج والعقلُ فيها كسراج وحكمةُ الله زيتُ
فاذا اشرقت فانك حيٌّ واذا اظلمت فانك ميتُ

ويرغب اليهم ان يتعلموا الخطَّ : قال الشاعر :

تعلَّم قوام الخطِّ يا ذا التأدب فما الخطُّ الّا زينةُ المتأدب

وللخط رفعة ومكانة في ذلك العصر لان الكتّاب والقرّاء كانوا قلائل ، يستخدمهم الحكام والامراء للكتابة في دواوينهم ، وقدر الكاتب مرموق بلاحظة الرضى والارتياح ولا سيما اذا كان بارعاً بالخط . والخط البديع متعةٌ للعين وفرحةٌ للقلب . وكان الخطُّ مهنةً يعتاش صاحبهُ منها ولم تكن اجرة الكاتب بقليلة ، لذلك نرى الشيخ جهجاه يقول : « اسمع يا فاعور فاذا تعلّمت الخط يا فاعور الناس تعوزك ما انت تعوز الناس واقلّهُ يتضمن مصلحتك من غير ان تربح جمايل الخلق . . . »

وها ان الشيخ مرعي الدحداح تعيّن اولاً كاتباً عند الامراء ابناء الامير يوسف شهاب وكان ينسخ الكتب ويبيعها حتى في ذهابه الى مرسيليا نسخ

كتاب « بحث المطالب » وهو على ظهر الباخرة. وقد اهدى كنيسة عرامون — كسروان — كتاب شحيم وكتاب سنكسار بخطه السرياني[1]

وهذا الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاستانة ، باشر اولاً بنسخ الكتب الكنسية والطبية وكان خطه جميلاً في القلمين العربي والسرياني . ولما شاعت براعته في النسخ تعيّن كاتباً عند الامير حيدر شهاب صاحب كتاب « الغرر الحسان » في تاريخ لبنان . وقد قال : « كان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليه . فمبتدعهم ان من يكتب خطاً حسناً هو الذي أفق بين اقرانه بالفضل[2] » .

---

١) قد عثرنا في تنورين (بلاد البترون) عند المرحوم الخوري نعمة الله كرم الحصروني على كتاب انجيل ضخم خطي منسوخ بالحرف السرياني — الكرشوني — بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر . وفيه عدة نوفير : لمار بطرس ، والاحد ، وتقديس البيعة ، والملائكة ، والسيدة والرسل ، والشهداء ، والموتى والمعترفين والابرار والصديقين . . . الخ . خط الشيخ رعي نادر الدحداح انتهى من كتابته في ١ شباط سنة ١٨٠٦ مسيحية . راجع كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزار » حاشية صفحة ٢٥٦

وذكرت مجلّة « الرابطة الكهنوتية » في خلال مقال لحضرة الخوري افرام الشالي في « النوافير المارونية » السنة الحادية عشرة ، العدد ٥ ، ايار سنة ١٩٦٠ صفحة ١٢٠ : نسخة خطية لهذا الانجيل جاء في آخرها ما هو بحرفه : « تم تحريره على يد العبد الخاطي رعي بن نادر الدحداح في ١٣ من شهر شباط سنة ١٨٠٣ مسيحية . . . وكان ذلك في ايام رئاسة مار يوسف التيّان بطريرك الانطاكي وسائر المشرق» ترى ترجمة حياة الشيخ رعي الدحداح في كتابنا « تاريخ احمد باشا الجزّار » صفحة ٢٥٣—٢٨٧

٢) كتاب « الساق على الساق في ما هو الفارياق » صفحة ١٧ و٣٤ طبعة باريس ١٨٥٥

لدى حضرة الصديق الاستاذ يوسف ابرهيم بزبك نسخة خطية من كتاب « الخطب البيعية » التي تتلى في مساء الاحاد والاعياد وصباحها نقلها من البيان السرياني الى اللسان العربي القس جبرايل فرحات الحلبي الراهب اللبناني (المطران جرمانوس) بخط فارس بن يوسف الشدياق ، بالحرف السرياني — الكرشوني — الملفوظ بالعربي . وكان تمام تحريره ومقابلته في كانون الثاني في قرية الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٢٥ مسيحية (راجع كتابنا « الشدياق واليازجي » صفحة ١٤٠ و٣٢٠ و٣٢١ .

وفي مكتبتنا نسخة خطية من كتاب «الخطب البيعية » هذا بالحرف السرياني الكرشوني

وكانت المطابع قديماً نادرة، فقامت مقامها أيدي النساخ بنسخ كتب التعليم للمدارس، وكتب الطقوس للكنائس وهي التي صانت لنا الكتب العالية من التلف والاندثار. وقد وضع كمال الدين الحلبي كتاباً خاصاً في الخط العربي.

وجاء: «ان الاتراك يتقنون الخطوط كالثلث والنسخ والرقعة والترقيع لدرجة ما بعدها اتقان حتى انه ليمكن اعتبار هذه الخطوط من الفنون الجميلة كالرسم والتصوير لما فيها من الحسن والابداع. وكان السلطان محمود الثاني خطاطاً كبيراً، ومعظم الالواح الجميلة الموجودة في جامع السليمانية بخطه، ومنها ما هو بخط معلمه ولكن المطلع على الخطين لا يسعه الا ان يقول:

يخطّطُ مولانا خطوط أبن مقلةٍ وينظمها نظمَ اللآلئ في السلك
فهذا عليهِ رونقُ الخطّ وحدهُ وهذا عليهِ رونقُ الخط والملك[1]

***

وتهافت اللبنانيون على اتقان الخط، ومن كان خطه جميلاً تباهى به مفتخراً وكان حديث بني قومه. وممن برعوا في الخط حنا ابي صعب، وابراهيم يزبك —

بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر على ورق حجج سميك، خطّ منصور بن يوسف الشدياق وقد كتب فيه بضع ورقات شقيقه فارس (احمد فارس فيما بعد) جاء في آخره بالحرف العربي ما هو بحرفه:

«تم هذا الكتاب المبارك على يد العبد الفقير الى ربه تعالى الذي ليس بمستحق ان يذكر اسمه لكن لاجل الذكر الصالح منصور ابن يوسف الشدياق وقد اسعفه اخيه فارس ببعض اوراق. وكان ذلك في ايام سيدنا وفخر ملّتنا المارونية مارى يوحنا الحلو البطريرك في ١٤ نيسان سنة ١٨٢١ والمجد لله مرمديًا امين» وخط منصور بالسرياني بديع لا يقلّ جمالاً عن خط اخيه فارس الشدياق ولا يفترق الخطّان.

وعلى ظهر هذه الورقة المدوّن في آخرها اسم الناسخ هذه الكتابة بالسريانية وتفسيرها بالعربية بخط ثلث وهي:

«كما يفرح النوتي يوصل سفينته الى الميناء، هكذا يفرح ويسرّ الكاتب في السطر الاخير».

(١) القسم الثالث من مقال «القسطنطنية» لامين الغريّب، جريدة «الحارس» بيروت، في ٢٧ شباط سنة ١٩١٤

والد الاديب الكبير يوسف ابراهيم يزبك حدث بيروت — وابراهيم خليل الجر والد الدكتور خليل الجر — يحشوش — امّا الذي يزّهم ونال شهرةً متأفقةً بالخط فهو علّام حنا علّام — كفور كسروان — مفخرة الاوائل والاواخر ، وقد فاق بجودة الخطّ على استاذه حنـا بك ابي صعب الشاعر والخطّاط الشهير . وكانت تتسابق المدارس الكبرى على طلب علّام لتعليم الخط فيها . ودفاتره الخطية المطبوعة اشهر من نار على علَم وقـد اكتسحت جميع الدول العربية ، وتفرّد علّام باشراق خطه ونموته فاصبح متعةً للعين وبهجةً للقلب . وكان يتقاضى اجرة السطر الواحد — نسخة تعليم لغير تلامذته — ليرة فرنسية ، وكان الاقبال عليه عظيماً ، والذي يحصل على نسخة من خط علّام يحتفظ بها كأثمن الذخائر . وُلد علّام سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٩١٠ وقد رثاه الادباء والشعراء مستكبرين الخطب فيه . ونكتفي باثبات تاريخين لوفاته الاول للشيخ عبدالله البستاني والثاني للاستاذ بولس زين :

تاريخ الشيخ عبدالله البستاني

تبكي ابنَ مقلةَ مقلةٌ سفّاحةٌ دمعاً يروّي تربهُ بسجامهِ
وعليهِ تلتاعُ الطروسُ لانها فقدت بديـع الوشي من اقلامهِ
يا آل علّامٍ اصاب مصابكم كلَّ القلوب بنافذات سهامهِ
قد ساء خطب فقيدكم طلّابهُ وتوارثوا الحسرات بعد حمامهِ
عهدي بكلّ هاتفـاً بجريفهِ اسبلْ دموعك حافظاً لذمامهِ
ذرْ كل ذي لَسِنٍ على تاريخهِ يرثي فريد الخطّ مع علّامهِ

سنة ١٩١٠

تاريخ بولس زين

كلّ حيٍّ مصيرهُ الموت لكن ليس كلٌّ ذكراهُ يطوي الحِمامُ
ان في الرمس كابن مقلة خطّاً فاق حتى دانت لـهُ الاقلامُ
ايّ نادٍ ومعهدٍ لم يزنهُ فلتخلّد آثارهُ الايامُ

مات والخطبُ ارّخوهُ جليلًا عَلَمُ الخطّ شيخُهُ علّامُ

سنة ١٩١٠

ولعلّام روايات ونوادر ولطائف بشأن الخط واننا ننشر على الزنكغراف مثالًا من خطه[1].

وبعد ما ذُكِر لا نستغرب اذا كان الشيخ جهجاه الدحداح يحضُّ ابنه وابني اخيه على تعلُّم الخط . وقد حان لنا ان نبدأ بنشر مقتطفات من المراسلات من مخطوطته ونبذات تاريخية ، نستدلُّ منها على كيفية المراسلة في تلك الايام وكيف يُكتب لاصحاب المقامات مما يكشف عما كان للحكّام من الفخفخة والمجد في ذاك الزمان. وقد تركنا هذه المكاتيب على سجيّتها وصبغتها الاصلية بدون تغيير كلمة او عبارة فيها وقد وضعنا لها ارقاماً معلّقين ما حضرنا من الحواشي . وها اننا نبدأ بالرسالة الاولى من المخطوطة[2] :

١

تعزّي (تعزية) من الحاكم الى المشايخ الهادية

الى جناب حضرة الاخوان الفراز المشايخ بيت فلان المكرمين حفظهم الله تعالى .

اولًا مزيد الاشواق الى مشاهدة خوتكم في كل خير وعافية والثاني بلغنا توفي المرحوم والدكم الى رحمة الله تعالى فقد حصل لنا غلت (كذا) كلي من كون الذي ينكدكم لم نخلو من كبده بما ان صداقتكم عندنا اكيده ولكن

١) عليك بقالنا « علّام حنا علّام في مجلة « الورود » البيروتية ، الجزء الثامن ، شهر نيسان سنة ١٩٥٢

٢) عند الاستاذ يوسف حمّاد كتاب انشاء مكاتيب بالخط السرياني الكرشوني الملقوظ بالعربي عنوانهُ : « مكتبي ارباب الانشاء ومعطي التهاب الاحباء » « كنوز الافادة في الترجمات المتادة » « الترجمات الجارية ما بين الكتّاب من خطاب وجواب واعتذار وعتاب » .

وجاء في آخره : « النقه بيده الفانية الشدياق اسعد الكفوري المتوري سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) » .

امر الله لا يُرَد وله مخلوقه تصاريف تجل عن التعريف . ان شاء الله يكون خاتمة احزانكم .

محب مخلص

٢

مكتوب تهنئة (تهنئة) كما ترى

غب لثم الانامل الطاهره والتماس الادعية الباره وعرض حال الاشواق بلسان الفراق وتعداد تلوة المحبة من فؤاد مكلوم الوحشة ومخلص الدعا بدوام بقاكم وسمو شان ارتقايكم في كل خير وسرور . وحظ بالتهاني موفور ، هذا وان جاز بروض الخاطر الابرّ بنسيم سوالًا عن حال ولدكم فاننا من كرم الله ذي الجود وببركة دعاكم الخيرية حايزين عميم الصحة والعافية متوسلين لله تعالى بدوامها على قدسكم وليس بنا سوى الاشواق بلهيب الفراق للثم انامليكم . وبينما انا اكابد صبابة الوجد وتعلل الفؤاد بما يرد من بشاير السرور السارة باليوم والغد ، واذ بابرك طالع ، حميد المطالع وردة (وردت) الينا ببشاير السرور ، تهادي احاديث الطرب الموفور ، فانجلت الصدور من مفرحات بشرها الفاخر ، وتعطرت الحواس من نفحات طيبها الزاهي الزاهر ، وذلك فيما جادت العناية الصمدانية والمواهب الربانية ، بارتقاكم الى الدرجة الاسقفية ، والتقليدات الرسولية ، فيا لله من مكارم هذه الاجابة ، وحسن هذه الاصابة ، التي ابدت لنا موانح المسرّة بتسليم القوس باريه ، والسهم راميه ، فلا ريب ان بذلك بهجة الارواح ، ومعدن الفلاح والصلاح ، كيف لا وسيادتكم علم الوقار ، بل والانا (والانا .) المختار ، ولقد يقتضي لنا بان نهني ذواتنا بهذه المنية الاسماء ، (الاسمى) والبهجة الكبرا ، (الكبرى) فلا برحتم سيادتكم مقلدين عصا الرياسة ، مكللين بتاج السيادة ، وموردكم من الفضل والندا (والندى) وفية زاهية ، وحظوظكم من الرياسة وافية ، رافلين في حلل الصحة والسلامة والاعتدال ، على ممر الايام والليال .

والآن لايضاح ما حلّ بنا من السرور ، باشراق هذه البشرة (البشرى) السامية ، بادرنا بترقيم عريضة الخلوص موشحة بالتهاني ، ونيل الاماني ، وبها

نفتقد الخاطر الانور ، راجين بها دوام امدادنا ببشاير صحتكم المأثورة، بدالة ذاتكم المبرورة ، فيما يلزم من الخدم ، والمهام ، فهو رهين الاعلام ، وفي كل وقت نومل من رأفتكم الابوية، دوام مواردنا بالادعية الخيرية. واقبل ايادیکم وادام الله بقاکم .

٣

اقران

غب وفرت (وفرة) اشواق وافيه ، خارجه من خالص الفواد والطويه ، بمشاهدة نور طلعتكم البهيه ، على كل خير ، وفيما نحن مترقبون وفود الاعلام ، ومتشوقون لاستنشاق نسمات الاخبار التي بها يشفى عليل الوجد والهيام . اذا في ابهج اوان ، وطالع سعيد الاقتران ، قد تشنفت الاسماع ، وترغت الالسن بما يزوي حرّ صدا الوجد والتياع (والالتياع) ، وذلك بان كوكب اقبال سعادته لمع وشرّف هذه النواحي وبيت الدين بجده ضاء[1] وسطع فلهج القلب واللسان بازدياد ادا (اداء) الدعا للملك المنان ، لفوز سعادته العليه بالسرور والانشراح ، وبلوغ الحظ المأثور بالتوفيق والنجاح ، فنسأل الباري الكريم جلّ جلاله، وعم نواله، بدوام بقا (بقاء) سعادته مدا (مدى) الايام والاعصار ، ويجعل اقمار سعد دولته مضيه بها الازمان والادهار ، ويسبغ على معالم مجده اثواب الرفاهيه وهداوة البال ، مدا الاعوام ما لاحت الاصباح وتوالت الليال .

وكذلك قد بزغت نجوم البشاير والحبور ، وامتلت القلوب من الافراح والسرور ، باشراق الكوكب السعيد ، والابدر الاغر الحميد ، الذي بضيايه ازهرت ربوع المجد والثنا ، وازدادت الارض بحلوله عليها عزًا وبهجةً وهنا ، فهو الامير الجديد ، ونجل السعادة والسيد المجيد ، من جُعلت له العلا مهدًا ، وتلالت به المكارم فرحاً وحمدًا ، فاسدينا لله العلي الدعوات الصافيه ، بدوام بقا (بقاء) سعادة افندينا جدّه[2] ليزه جدًا ، وان يزداد به ولوالده والاعمام

١) يريد به الامير بشير الشهابي الكبير الذي كان غائبًا وعاد الى عرينه بتدين .

٢) يستفاد من كلام كاتب هذه الرسالة، انه وُلد لاحد اولاد الامير بشير الكبير ولد وهو يرحب بمولده ويتخلص الى الدعاء لله تعالى باطالة عمر جدّه .

والاخوين اسيادنا عزاً وسعداً ، فسأله تعالى ان يمد باعمار تلك الاقمار الزواهر ، ونرى جميع افنديانتا امراء كراماً ، ويا حبذا اوليك الاكابر ، ودايماً صلة الاعلام .

٤

في ما جاء من باب التهاني

ثمّ انه قد بلغنا خبر تاهلكم فحصلنا من قبل ذلك على محظوظية ، ودعونا لكم بالتوفيق والبركات الوفيه ، فان شا الله تعالى يكون اقتران مبارك حميد البداية ، سعيد النهاية ، ولنقل مع الشاعر :

فتهنّ (فتهنأ) في عرس وعرس انها بالخصب ليّا والبها راحيل

بل تجدونها مجمّلة باوصاف الخضوع واصناف التكريم ، كساره المباركة مع ابراهيم ، ويكون تزيينها ليس فقط بالحلل الفاخره ، بل بالتواضع وباقي الاداب الطاهره ، ويكون دخولها الى منزلكم للبركات واجزل الخيرات ، ومنذ الآن ، وفي كل الاحيان ، تكونون موفقين الاحوال ، مبلّغي الامال ، بما يرضي عزة ذي الجلال المتعال ، دمتم بحراسته مدى الاجيال .

٥

في الاستفاده

انه لقد بلغنا عنكم خبرٌ كدّر منا الفكر ، واعمى البصر ، وهو انه حاصل لكم تشويش مزاج ، وانكم من قبله بغاية الضيم والانزعاج . فيا ايها الحبيب النجيب ان اكمل ما يروّق البال ، هو المطابقة لمشيئة المولى المتعال ، واقتبال كلما يفتقدنا به في السرّآء والضرّآء ، وفي كل حال فيساله بحبيبه الذي اشفى حماة بطرس من الحمّى ، ان يوليكم منحة الشفاء والصحة العظمى ، وان يخولكم الآن صبراً ، ثم عافية واجراً ، نومل تعرفونا عن كيفية حالكم ، لعل بعد ذلك اصبتم حالاً احسن ، ورزقتم من لدنه تعالى اوفى المنن ، بالسلامة من هذه المحن ، ومهما كان لازماً لكم في هذا الجانب من الاشغال ، عرفونا

عنه وان شاء الله فبادر اليه بلا اهمال ولا امهال ، اولاكم مولاكم غاية الشفاء ، واصبتم من لدنه رحمةً واطفاً .

٦

في ما جاء من باب التهاني بمولود اتى

ثم تهنئي جنابكم بما حزتموه من لدن نعم المولى المنان ، باتجاد هذا النجل السعيد المنصان ، ونسأله تعالى كما منّ بمولوده ، يجود عليكم بحفظ وجوده ، وبيتيه لكم محروساً من كافة الاخطار ، وموتياً من كافة الاضرار ، ويكون لكم من خير الانجال النجباء ، واظرف الاولاد الادباء ، وتفرحون منه ومن انجال الانجال ، وجنابكم بكل رياضة واعتدال ، والآن تهنئةً لجنابكم بهذه النعمة الوافره ، والموهبة الفاخره ، ثم ايضاحاً لما حصل لنا من السرور ، وكمال المحظوظية والحبور ، بادرنا برقم هذه السطور ، فترجوا ان تعرفونا عن صحتكم وصحته كما هو المأثور ، فيما بدا من المصالح بهذه الجهات ، رهين الاشارة والتحريرات ، ودام بقاكم بدوام الخيرات والمسرات .

٧

الجواب

وذكرتم تهنونا بالولد الذي اتجد لنا من كرمه تعالى فنسأله تعالى ان يهنيكم بالامور الصالحه ، والاعمال الناجحه ، ويوليكم من لدنه غاية التوفيق والنجاح ، لنفرح منكم عن قريب وانتم بغاية السعود والانشراح ، ومما ذكرتموه عما حصل لجنابكم من السرور والحبور ، فلا برحتم بها مدى الادهار ، فوكدّ عند اخيكم وفور مودتكم الصادقه ، وعطوفة غيرتكم الفايقه ، والآن اشعارًا بوصول كتابكم الكريم ، بادرنا بتحرير هذا الترقيم .

٨

ترجمة من مشايخ البلاد والامراء للاغوات المعلومين

الجناب الاكرم الاجل الماجد المحترم ، كريم الخلال والشيم ، عميم الافضال

والكرم ، لهمام العالي الهمم ، والربال المصور الاشهم ، الحاج فلان اغا الافخم ، دام بسوابغ النعم .

غب اتحاف اضعاف التحيات البهيه الفاخره ، واسدآء الشذى التسليمات الزكية العاطره ، واهداء اللطف سلام يروق عن الزلال صفاء ، ويفوق على النسيم بلطفه خفاء ، ويفاوح نفحات الرند والخزام زكاء وعبوقاً ، ويضارع مطلع البدر التام بهاء وشروقاً ، واشواق يكاد ان يفنى المداد ، ويداهم القرطاس والقصب النفاد ، ولا يحصى لها تعداد ، ولا توصف كما يراد ، وقال بعضهم واجاد :

ولو ان امياه البحار محابرٌ وكل نباتٍ في البسيطة اقلامُ
ولو ان ما بين الثريا الى الثرى قراطيس والكتاب عربٌ واعجامُ
وراموا بان يحصوا اشتياقي اليكمُ لما وصفوا معشار عُشر الذي راموا

ووجد حل في الفؤاد ، فاضرم بالجفون نيران السهاد ، الى مشاهدة بهي ، ذلك المطلع الشهي ، لا برح من لدن رب العالمين الكريم ، مرموقاً بعين الرضى والتكريم ، مجللاً بالبشر والافراح ، ما لاح بدرٌ وضاء مصباح .

اما بعد فالداعي الى ترقيم شيقة الوداد ، وتاليف حروف ورسالة الالفة والاتحاد ، فهو السؤال عن الخاطر الكريم العاطر ، ولطف المزاج الفاخر ، ان شاء الله تكونوا حايزين غاية المسرات ، معمورين بجزيل السرور والخيرات ، نرجو في كل حين ان تجودوا علينا بشرفات التطمين مع ما جدّ من المهمات ، رهين الاشارات ، وادام الله تعالى لوجودكم دوام البقاء ، ولسعد سعودكم سمو الارتقاء .

٩

غيره جواب

الجناب العالي ، كوكب المجد المتلالي ، الربال المصور الاوذعي ، والندب الهمام الالمعي ، الاديب الكامل ، والنجيب الفاضل ، غرّة جبهة الزمان ، وعين

انس الاوان ، فخر الاعيان الفضلا . وذخر الاقران النبلا . الاجل المحترم ، انما عالي شان المحتشم ، دام بقاه.

غب تبليغ بليغ الغرام ، الذي تنبو عن رقه مواضي الاقلام ، واهداء ازكى هيام ، يفاوح نفحات الخزام ، ووجد لا يرام ، وشوق مقرون بواجب الاكرام والاحترام ، مع تأده (تأدية) فروض الاحتشام ، اللايق بسامي المقام ، صانه الملك السلام ، محفوفاً بسوابغ الانعام ، مدة كور الاعوام .

ثم انه في اسعد الاحيان واظرفها ، واحمد الازمان والطفها ، ورد الكتاب الفريد الخطاب ، وفهمنا فحواه العزيز المستطاب ، وما ابديتموه من العتاب ، الذي هو ذأب الاحباب ، ونسيمة الاصحاب ، قد صار قرين الافكار ، ولم نبرح نتردد به الليل والنهار ، والآن تقريراً للنيرة الرايقة ، والفكرة الحاذقة (الحاذقة) عما كان سبب هذه الامور ، اقتضى ترقيم هذه السطور ، وهو انه كذا كذا ، فالمامول نشر طي هذا الكتاب بطوية صالحه ، وان تجرّوا على ما يخال لكم من القصور ذيل المسامحه ، ولا برحتم جنابكم بدوام الحبور والانشراح ، وافلسين باسنى حلل السرور والافراح ، وتزجو في كافة الفرص والاحيان ، ان تواصلونا بكرايم الاطمئنان ، مع ما بدا من المهام ، رهين الاشارة والاعلام ، ودام بقاكم .

المحب المخلص معلوم

١٠

جواب من حاكم جبل لمتسلم طرابلوس

هذا وفيما نحن نلهج بمحاسن مآثر الجناب الحميده . ونعطر المجالس بتردد تذكار السجايا الفريده . واذ يابرك اوان . وابهج طالع سعيد الاقتران . قد ورد علينا طرس جنابكم الكريم . وفهمنا فحواه الوسيم . وحمدنا من يجب لمزيته الحمد اذ خوّلنا الاطمينان على صحة المزاج الفاخر . وعدالة الطبع الباهر . وبه من خلوص الحب ولطافة الاخلاق تفضلتم بالسؤال عن الحال فنسأله تعالى ان لا يغرب عنا انوار وداد الجناب . ويحفظ لنا وجودكم الكريم مصاناً من كافة الاوصاب . فمن نحونا فله عظيم المنة حين ترقيم شيقة الثناء راقيين مراتب الصحة فلا زلتم بدوامها مع مزيد الوفاء والاقبال .

ثم وما قد بزغ من انوار القريحه على وجه العتاب يحجب الرسايل . فلمخلصتكم من مخاص باعظم دلايل . وذلك بما ان صورتكم المأنوسة مطبوعة في صحيفة الفؤاد نستكفي بها عن تواتر الرسايل وان طال البعاد . وما ابديتموه تلطفاً من الاعتذار بعدم تمام المرام بتضاعف ارسال الاساير لمعاذة اخيكم سلطانم الوالد الافخم[1] . فلا ريب ان هذا من بحر الحب الوافر من حيث لا يخفى كريم علومكم ان سعادته دائماً يثني الثناء الجميل . وحاصل لديه محظوظيه قديمه وحديثاً (وحديثة) من خلوص الوداد الجزيل . والآن قد زدتمونا منة فوق منة بما تفضلتم بارساله اي جرى[2] (كذا) الاساير التي خصصتمونا بها . اجزل الله على جنابكم الخيرات . ولا زالت كافة اوقاتكم محفوفة بكمل الانشراح والمسرات . والآن تشكراً من الافضال وافتقاداً للخاطر الكريم اقتضى ترقيم الوكة الموده وغاية المأثور دوام اتحافنا بورود الرسايل المسرّه مع كل ما يلزم ويبدو من المهام . فهو رهين الاعلام .

١١

مرسوم شريف من سعادة صاحب السعادة الصدر الاعظم صالح باشا
الى جناب الشيخ بشير (جنبلاط) في سنة ١٢٣٧ (٢٨ ايلول سنة ١٨٢١)

فهذا كتابنا الى قدوة العشاير والقبايل شيخ المشايخ شيخ بشير زيد قدره.

سررنا موثقاً من عواطف بابنا العالي فهو ان المعلوم من جميع الناس ان المبغوض المغضوب عبدالله باشا الوالي في ايالة الصيدا سابق قد نال قبل هذا من محض عواطف الدولة العليه السلطانية بالرتبة العاليه الوزارة في ريعان شبابه وحصل الامتياز بين امثاله (امثاله) واترابه ولكنه لا يعلم قدر ما أعطي من تلك النعم الجليله والمنح الجزيله حيث خرج بكفران جبلته عن دايرة الانقياد وتجاسر بالبغي والفساد وان حذرناه (حذّرناه) عمّا فيه من الافعال الشنيعه فمزّ وصرّ في حركاته الرديه حتى اطال قدمين كلمه وتجاوز الى ارجاء الشام الشريف وبسط يديّ غضبه وتعديه بمرتبات الحاج المنيف وتصدّا (وتصدى الى) كذا وكذا بانواع الفعل السخيف والطور المنيف فلزم ازالة وجوده لاراحة العباد

١) نظن ان هذا الجواب هو من الامير امين نجل الامير بشير الشهابي الكبير .
٢) ربما كانت جرايات ، ضرب من الخبز يُعيّن للعسكر وللاسراء .

وازاحة الفساد عن البلاد فسوف يشاهده سوءا جزا عمله ان شاء الله تعالى بلا امتداد لكن المقصود من كتابنا هذا انه قد كان قبل هذا معلوماً عند الدولة العلية ولا سيما الآن بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالاً ان المغضوب المرقوم عبدالله باشا قد اغتلك (كذا) من قبل بصورة الحق كاشاعة الحوادث بتوجيه الشام وامارات الحاج لمهدته . ولكن حقيقة الامر ظهرة (ظهرت) عندك بتحرير الوزير المكرم مصطفى باشا الوالي بايالة الشهبا سابق والوالي بايالة صيدا حالاً ان المغضوب المرقوم قد بغى وطغى بان حضرة سلطاننا سلطان الاعظم مالك رقاب الامم . مد الله ظلال مراحمه واحسانه على العالم . لقد اراد ازالة خبث وجوده عن الورى فاعرضتو (فاعرضتُ) ونويت عنه واطلعت واعتصت بكلام الوزير المشار اليه حتى ارسلت ولدك وتفاً (وتقاً) الى جناب الوالي بايالة الشام الشريف الصدر الاسبق درويش محمد باشا دام اجلاله وهو ابقاك في مشيختك فانك لقد اظهرة (اظهرت) بذلك الوجد في هذا الخصوص ما يجب عليك وعلى قومك واستجلب الخير والسلامة في حقك لان الظاهر عند الدولة العليه انت عمدة قومك وقدوة عشيرتك تعلم وتتقن ما يقتضي لك ولاتباعك من اطاعة اوامر السلطانيه بحيث منذ كنت شيخاً على قومك ولم يسمع منك الى هذا الان الا خدامة المرضيه فلذلك عفى (عفت) عنك الدولة العليه ما وقع منك بالخطا في بعض الاحوال الذي يتضمن الاتباع الى المغضوب المرقوم قبل الوقوف بكيفية ارادة حضرة السلطانية.

فالآن ارسلنا اليك هذه الورقه المخصوصة ليتزل على قلبك سكناً ويحصل امناً حسناً فاذا عرفت الكيفية بوصول هذه الرقيمة فعليك الاستقامة والثبات (والثبات) في مقام الانقياد والاطاعات والامتثال لكلما ورد اليك من طرف الوزير المشار اليه الوالي بايالة صيدا . وابرز الخدمه والصداقه في مصلحة عكا فان الخير والسلامه والاخرة والاولى انما يكون باطاعة السلطان والخليفة الدوران الذي افاض على العالمين البر والاحسان وملا (وملأ) بانوار جلالة شانه الكون والمكان. فطوبى لمن استظل بظلال شوكته العليه واتبع برضايه الاعلى فيما امر ونهى . والسلام على من استمع القول واهتدى .

١٢

في عرايد الكتابة الى السيد البطريرك

ايها الاب الاقدس

غب لثم ثرى اقدام قدسكم الاطهار والتماس صالح ادعيتكم في مقاطع الليل والنهار مع رفع الدعا بدوام بقا قدسكم وتأييد ايام رياستكم. نتعرض انه في اشرف زمان والطف اوان تشرفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف وجميع ما رسمتموه بـه صار معلوم ولدكم وان شاء الله يحسب امركم العالي نبادر بقضا المصلحة الفلانية حسب المطلوب. والآن اقتضى اعراضه اشعارًا بوفود مرسومكم الشريف وابتغآء عدم هجرنا من فيوضات اخاطركم المنيف وان لا نُنذى من الدعوات الخيريه ونكرر لثم الانامل المقدسه السنيه.

ولد غبطتكم فلان

النيشان

يتشرف بلثم انامل قدس الاب الاقدس ماري يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وساير المشرق الكلي الطوبى دام بزه.

١٣

صورة كتابه من جناب ولد حاكم الدير الى بطرك الروم

ثم الكتابه على طرحية ورق مسفول (مصقول)

جناب حضرة المحب الاعز الاكرم والصديق المحتشم البطرك ميتوديوس المكرم دام محفوظًا.

غب اهدا زواهر الموده العاطره وجواهر المحبة الفاخره ومزيد الاشواق الوافره لمشاهدتكم بكل خير وعافيه انه بابركك ساعه ورد لنا تحريركم وسرنا علم صحتكم وما ذكرتموه بقي بجلوسنا وعرض دعاكم المرسل لسعادة سلطانم الوالد الماجد الافخم وصل وقدمناه لديه الكرام. واصل من لدنه جواب بفحواه السامي كفايه. ونرغب دوام ورود اخبار صحتكم بما يلزم.

محبكم امين ش

١) الكتابة هي من الامير امين ابن الامير بشير شهاب الكبير حاكم دير القمر.

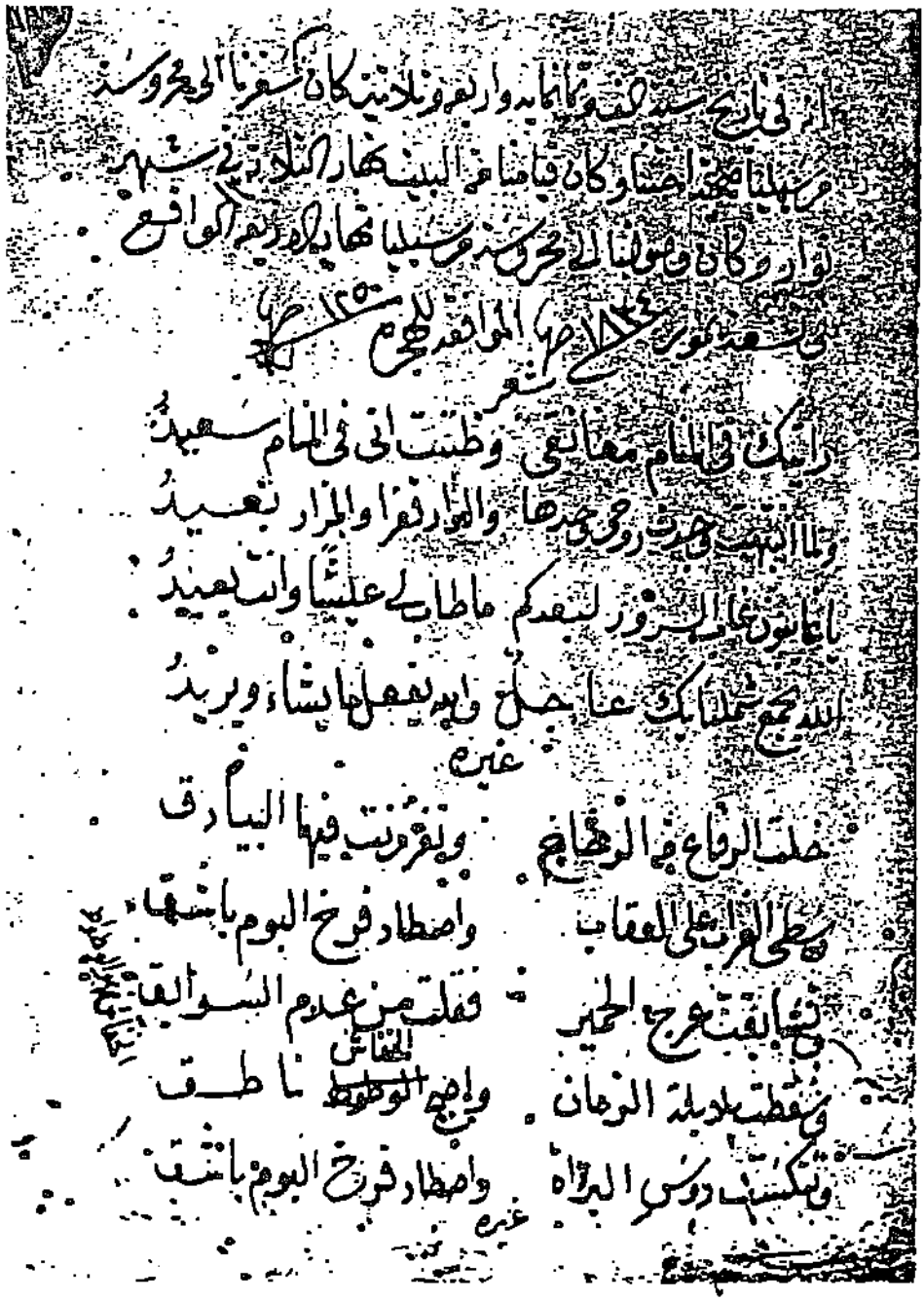

صفحة من مخطوطة « السفينة »

١٤

ترجمة الى القاضي والمفتي

الى جناب قدوة العلماء المحققين . وعمدة البلغا المدققين . اقضى قضاة المسلمين . المعروف بوقاية رب العالمين . سعادة مولانا فلان افندي المحترم. دام بتزيد الفخر والنعم .

غب لثم ايادي (ايدي) سعادتكم الكرام. وتأدية الدعا لله تعالى بدوام بقاكم للدوام . كلما وجب ولاق لسامي المقام من الاهابة والتوقير والاحتشام. تعرض بين ايديكم ان الداعي الى تدبيج صحيفة الدعا فهو افتحاص انشراح الخاطر الفاطر . ولطف المزاج السليم الفاخر . ان شاء الله تكونون بدوام الرفاهية والرياضة. مع سبوغ الانعام المفاضة. رافلين بوشاح العز والفخر والافراح. ثم ان جاز من خاز ارق الخصال . بالسوال عن الاحوال. فانا من كرم وجود . واجب الوجود . حين زقم هذه السطور . بغاية الاعتدال الماثور . مقيمون على وظيفة الدعا والتوسل للهيمن الاحد بخير الشفعا بدوام بقاكم بالسرور . وغلبة الجذل والحبور . مع صفا البال . وزوال البلبال . وتمام الاقبال . نرجو تشرفونا بكلما توفق من الاحيان . بمواضلة مراسيم الاطمينان . معا بدا من الخدم والمهام . فسعياً على الرأس قبل الاقدام . وادام الله بالاقبال سعد سعودكم . واشرق في ابراج الجلال شمس وجودكم .

١٥

من وزير للمشايخ

افتخار المشايخ الكرام حاوي المحامد التمام محسوبنا الشيخ فلان زيد قدره.

غب التحية والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم . المبدي اليكم انه كذا كذا فبوصوله واطلاعكم على مضمونه بادروا حالاً بالمطلوب من دون تاخير ولا تقصير اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد . السيد عبدالله والي صيدا

١٦

اعراض

نعرض ليس خافي مسامعكم الشريفه احوال هذه السنه والضنك الحاصلين به والحال الشديد الذي يرثى (يرثى) له. ومعلوم عند الجميع قد حصلنا باحتياج

لا يوصف ومن كوننا عبيد رق لسعادتـه وجنابكم حاشا الشيم الملوكيه ان تسمحو جنابكم اننا بايام دولتكم السعيده نحصل على هذه الحال . فزيادة رجانا ببراحكم الاصليه ومكارمكم الخاتيه تهجسنا بهذا الاعتراض لدى المسامع الشريفه املاً يوفور شهامتكم الملوكيه تفيض عمكم العليـه وتترجو مراحم سعادته ايده الله في عبيدكم باصدار الجلم بما تفيض مراحمه العليه لنعيش به ونستر بما هو واجب علينا تقديم وضيفة (وظيفة) الدعا الخيري للملك الجبار بدوام دولته الزاهره مدا الادهار ويخلد لنا وجود جنابكم سالماً من سايرالاضرار.

١٧

انشاء لبعضهم

ابهى وافضل واشرف ما سجعت وانشت اطيار مناير الاغصان على قدود افنان الاشجار بالحان تشايد فقر الاوزان الشجيه واشهى واكمل واظرف ما نسجت ووشت ابكار خدايد الاذهان من برود معاني النثار ببنان خرايد غرر البيان السنيه . وازهى واجمل والطف ما نظمت ورقشت افكار ضمايد الانسان من عقود جمان الاشعار بلسان فرايد ذرر التبيان الوضيه .

شعر

سلامٌ يفوق المسك والند نفحةً تضمّن شوقاً ليس يحصرهُ الحدُّ
يبلغ ممن ذاب شوقاً وحرقةً لمن ليس يحصي فضله الحدّ والعدُّ

وورد على هوامش هذه الصفحة ٣٣ ما يلي بالحرف الواحد :

« هذه السفينه الى فاعور الدحداح ما لاحد بها تعلّق اصلاً » .

« خدمة تونانك يا خطار برضا الله اربح واكسب من متاعب النفس والجسم . اياك تبتلي بخدمة الحكّام[1] « صح » .

« وكتابتي هذه السفينه لكي تتقوى بالعربي يا خطار وتتعلم قواعد الخط من بعض اوجه كان لان معرفة الشيء احسن من عدم معرفته . خد من هذه السفينة قواعد الخط ولا تغتر وانما انظر للاجود بخطها واتلكه ولا يلذ لك بعض ترخرفات من الخطوط وهذه القاعده ما لها وجود » .

« كتاب مجموع يفيد من ابتلا (ابتلى) بكار التعتير بخدمة الحكّام » . (يتبع)

(١) من الغريب ان الشيخ خطار لم يعمل بحسب وصايا ابيه المتكررة ، فقد تقلّب بعدة وظائف في متصرفية جبل لبنان مدة ثلاثين سنة على ما مرّ بك .